الجوانب الاجتماعية والاقتصادية لبلاد الحجاز من خلال كتب الرحالة المغاربة والاندلسيين خلال القرنين السابع والثامن الهجريين

أ.م.د سادسة حلاوي حمود
كلية التربية/ جامعة واسط

م.م وليد محمد علي قاسم
كلية التربية/ جامعة واسط

الخلاصة :

تنوعت الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الحجاز بسبب تنوع عناصر المجتمع والعادات والتقاليد والأطعمة والأشربة بالإضافة الى تعدد الاعمال التي كانوا يزاولونها من زراعة بعض المحاصيل التي اشتهرت بها الحجاز ، في حين كان لها دور أساسي لوجود المواد الخام والايدي العاملة والتي ادت الى ازدهارها ، اما التجارة فتمثل العصب الرئيس للحجاز لإقبال الكثير على العمل فيها ، وهذا كله انعكس على انتعاشها ، ويتضح ذلك من خلال ما دونه الرحالة المغاربة والاندلسيون في مؤلفاتهم التي هي موضوع الدراسة .

المقدمة :

يعد تاريخ الحجاز من الموضوعات المهمة في التاريخ الاسلامي فمنه شع نور الاسلام وانتشر الى مختلف انحاء العالم وتركت اثراً عظيماً في نفوس المسلمين إذ احتوت ارضه الطاهرة مكة المكرمة مهبط الوحي ، والمدينة المنورة عاصمة الاسلام ومهجر الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وحظي الحجاز محل الرعاية والعناية الذي انعكس على ازدهار الاحوال الاجتماعية والرواج الاقتصادي الذي كان لكل منهما أثره الكبير والمباشر على الحياة في جميع نواحيها .

وارتئينا أن نقسم البحث الى مبحثين :

المبحث الاول : اهتم بالجوانب الاجتماعية وتضمن :

أولاً : عناصر المجتمع .

ثانياً : طبقات المجتمع .

ثالثاً : العادات والتقاليد .

رابعاً : الاحتفالات .

خامساً : المواكب .

سادساً : الملابس .

سابعاً : الأطعمة والأشربة .

أما المبحث الثاني فقد اعتنى بالجوانب الاقتصادية ومنها :

أولاً : الزراعة ومصادر المياه .

ثانياً : الثروة الحيوانية .

ثالثاً : الصناعة .

رابعاً : التجارة .

المبحث الأول : الجوانب الاجتماعية :

تنوعت الحياة الاجتماعية في بلاد الحجاز متخذة مظاهر عدة ويمكن تتبعها من خلال كتب الرحالة .

اولا : عناصر المجتمع :

احتوت مكة المكرمة العديد من العناصر البشرية لما لها من مكانة وهيبة في نفوس المسلمين الوافدين من شتى انحاء العالم ، والواقع أننا لن نستطيع حصرها وسنعمل على ابراز أهم العناصر الموجودة في بلاد الحجاز والتي استخرجناها من كتب الرحالة ، ومن عناصر السكان :

- آل بيت الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من ذرية الإمام الحسن بن علي (عليهما السلام) وهم السليمانيون ، وبنو هاشم ، وبنو قتادة [١] .
- القرشيون : وهم قلة تفرقت الغالبية العظمى منهم في البلدان المجاورة مثل العراق والشام وغيرهما ، وبقي جزء منهم في الطائف والوديان المحيطة به وفي جدة ونواحيها [٢] ، ومنهم من غادر الحجاز أثر ثورات العلويين [٣] .

اما المدينة المنورة فمن عناصر السكان فيها هم آل بيت الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) من ذرية الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ، ومن سكانها الأصليين الاوس والخزرج ، كما شكل المجاورون نسبة كبيرة من السكان في المدينتين المقدستين بصفة عامة حيث قدموا من بقاع شتى بهدف الاستقرار في مكة المكرمة [٤] .

فضلاً عن ذلك وجدت فئات اخرى من المجتمع الحجازي منها :

الاعراب :

فئة من الناس احترف بعضهم السرقة والاعتداء على الحجاج وسلب أموالهم مما تسبب في بروز خطرهم حتى على أفراد المجتمع في بلاد الحجاز أنفسهم ، ونلاحظ أماكن وجودهم في الطرق المؤدية الى

مكة والمدينة مثل المناطق المحيطة بذي الحليفة [٥] ، وسيطرتهم عليها [٦] انتشارهم في الطريق من الوجه [٧] الى المدينة المنورة [٨] .

وفي مكة وجدت اعراب بنو شعبة في المشاعر المقدسة ، وهدفها الاعتداء الى الحجاج بالسلب والنهب والقتل ، ووصل خطرهم لدرجة أن ابن رشيد ترك المبيت بمنى وقت ادائه لفريضة الحج خوفا على حياته [٩] ، وأشار البلوي الى انعدام الأمن ايضا من الأعراب [١٠] .

العبيد :

ومن العناصر التي وجدت أيضاً أهل بلاد السودان ، ويجلبون من اماكن متفرقة مثل الحبشة والنوبة والديلم [١١] ، واستخدموا كعبيد لذوي السلطة [١٢] ، وخدم في المنازل بالإضافة إلى وجود الجواري للغاية ذاتها [١٣] .

ومنذ القدم كان أهل مكة يأتون بالعبيد والجواري ويجعلون على كل واحد منهم مبلغاً مطلوباً يدفعه كل يوم لسيده مما أدى في وقت من الأوقات الى دفعهم للحصول على المال عن طريق السرقة واحياناً بالحيلة فاستفحل ضررهم على المجتمع المكي ولهذا أقدم سيف الاسلام (طغتكين) على راس جيش كبير سنة (٥٨١هـ / ١١٨٥م) لتأديبهم والقضاء على ضررهم [١٤] .

ثانيا : طبقات المجتمع :

الطبقة الحاكمة :

حكم الحجاز الأشراف من ذرية الإمام الحسن بن علي (عليهما السلام) في مكة ، ومن ذرية الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) في المدينة المنورة واتسم حكمهم بطابع الإمارة فقط [١٥] .

ونوه ابن جبير في رحلته الى حاكم مكة الأمير(مكثر بن عيسى) [١٦] ، وكان فقهيا في داخل مكة ، واعتمد على الوزراء والقادة والحاشية في تسيير امور البلاد الا أننا لم نعثر على أسماء احد منهم [١٧] .

وشملت هذه الطبقة أيضا الأمراء الذين اعتمد عليهم الشريف في ادارة القرى والمناطق التابعة لمكة في حين انفردت مدينة ينبع بأمير مستبد ، وقام بحكم خليص احد الاشراف المعروف بالعدل وحسن السيرة والاحسان الى الحجاج ، وفي مر الظهران أيضا أحد الأشراف من بني الحسن والمعين عليها من قبل شريف مكة [١٨] .

ونجد أشارة في رحلة ابن رشيد الى شريف مكة (أبي نمي محمد بن أبي سعيد الحسني) وما تمتع به من هيبة وسلطان وقوة شخصيته [١٩] ، والذي استمر في إمارته حتى زمن رحلة العبدري الذي اغفل الاشارة اليه واستمر حكمه في عهد التجيبي الذي اشار الى تعيينه عاملاً من قبله على مدينة جدة [٢٠].

اشار التجيبي في رحلته واصفا الشريف أبا نمي من الناحية الخُلقية قائلا : " انه شيخ خفيف العارضين ، شديد السمرة ، ضخم الجسم ، معتدل القامة ، حسن الصورة ، تميز بالسكينة والهيبة وقوة النفس والاقدام والشجاعة والتواضع ... وللشريف أعوان لمساعدته في الحكم منهم وزير قديم ولا توجد إشارة إلى اسمه ، وكانت إقامة الشريف في حصن له خارج مكة يسمى الجديد ، ترك الشريف عدداً من الاولاد تولى بعضهم إمارة مكة واسهموا في احداثها امثال رميثه وحميضة وغيرهم وهذا له دلالة على حصر السلطة في أفراد السلطة الحاكمة من الأشراف " [٢١] .

ولاحظ ابن بطوطة في رحلته أيضاً من حكام مكة والأشراف من نسل الشريف أبي نمي عطيفة ورميثة ومقرهما مكة المكرمة [٢٢] ، ودارهما قرب المسجد الحرام وأقام رميثة أحياناً في حصن الجديد [٢٣] .

تميـز رميثـة بحسـن السـيرة فـي أهـل مكـة بينمـا كـان النـاس يخشـون اخـاه حميضـة لقسوته [٢٤] .

وتـولى الحكـم مـن أولاد رميثـة عجـلان [٢٥] ، وثقبـة [٢٦] ، امـا المدينـة المنـورة فمـن حكامهـا (كبيش بن منصور بن جماز) سنة (٧٢٦هـ / ١٢٢٨م) [٢٧] ، و (طفيل بن حجاز) [٢٨] ، واعتمد الأشراف على حرس يسمون بالحرابة ، ووصفوا باللصوص لسلبهم أمتعة الحجاج بحيل وطرق اخرى [٢٩] .

– طبقة القادة :

طبقة لها أهميتها الكبرى تتبع الشريف ويتم اختيار أفرادها من أكابر الأشراف [٣٠] ، واحتفظت كتب الرحالة باسم احد هؤلاء القادة وهو (محمد بن الحسن مولى الشريف أبو نمي [٣١] ، واحيانا يكون القائد لا يمت الى الأسرة الحاكمة بصلة كما أشار ابن بطوطة الى هذا الأمر من خلال ما اورده من أسمائهم [٣٢] .

– طبقة العلماء :

حظي العلماء بأهمية كبيرة لدى الناس حيث حرص الكثير على المجيء اليهم وأخذ العلم عنهم ، وحظيت بلاد الحجاز بزيارة الكثير منهم وجلسوا لإلقاء الدروس على الناس مع حرص بعضهم الشديد على ازالة البدع والمنكرات والأمر المعروف والنهي عن المنكر وتحمل الأذى في سبيل ذلك ولهم مواقف مع الامراء وعلى سبيل المثال ما حدث بين العالم ابي عبد الله محمد بن أبي بكر بن خليل العسقلاني(ت – ٦٩٥هـ) حيث سجنه الشريف أبو نمي لقيامه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولم يلبث أن أطلقه بعد مدة من الزمن [٣٣] .

فضلاً عن العلماء توجد طبقة القضاة والائمة ويختارون من رجال العلم وأهل الدين ويقومون بتنفيذ الأحكام الدينية على سائر الناس ، وفي بلاد الحجاز وجد قضاة لجميع المذاهب فكل طائفة تتبع إمامها

وقاضيها ولكل إمام مكان محدد في المسجد يصلي فيه مع أتباعه والى جانب قضاة وأئمة للمذهب الشيعي[٣٤] ، ونوه ابن بطوطة الى وجود قاضٍ شيعي في المدينة المنورة [٣٥] .

- اصحاب المهن :

ومنهم التجار الذين كان لهم دورٌ كبيرٌ في بلاد الحجاز اذ انه من الملاحظ اعتمادها بالدرجة الاولى على التجارة وكانت حوانيت التجار مصفوفة على جانبي الصفا والمروة ، وهناك الفلاحون المشتغلون في بساتين مكة المنتشرة في أنحائها ، بالإضافة الى مهن اخرى كالسقايين والخبازين [٣٦] ، وصناع الحلوى والرعاة [٣٧] ، فضلاً عن الاغوات [٣٨] ، انهم من أصل حبشي وصقلي تميزوا بالظروف وحسن المظهر [٣٩] ، وسبب استمرارهم لان صلاح الدين الأيوبي ثبتهم في اعمالهم وكتب لهم بذلك كتاباً وقفهم فيه على الحرم النبوي ، ويعملون على العناية بالمسجد خلال ساعات النهار واغلاق أبوابه ليلاً مع القيام بنظافته واشعال واطفاء قناديله وغير ذلك [٤٠] .

ومن المهن الاخرى صناعة الملابس اذ اطلق على أحد أبواب المسجد الحرام بباب الخياطين [٤١] ، وهناك المعلمون والنساخ [٤٢] ، بالاضافة الى مهنة الطوافة وقيام سدنة البيت بالطواف بالحجاج مقابل اجر ياخذونه [٤٣] الى جانب مهن اخرى كالحمالة [٤٤] ، والجزارة [٤٥] ، والبناء والتجنيد [٤٦] ، وصناعة الدهان [٤٧] .

توجد فئات مهن اخرى عملت في جدة بتأجير الجمال للراغبين بذلك الى جانب مهنة الحطاب [٤٨] والصيد [٤٩] ، وهذه نبذة عن المهن التي وردت فيها اشارات عن المهن وهذا لا يعني اقتصار أهل الحجاز على هذه المهن فقط فربما وجدت غيرها ولكن يبدو أن الرحالة أغفلوا ذكرها وذلك بسبب انشغالهم بالأمور العبادية من أداء مناسك الحج والعمرة فضلاً عن الأمور العلمية من حلقات دراسية .

ثالثا : العادات والتقاليد :

عرف أهل الحجاز بنكاح الجواري والحبشيات (٥٠) ، ولم يكن الأمر قاصراً على العامة بل نجده بين الطبقة الحاكمة من الأشراف مثال الشريف أبي نمي وكان ابنه رميثة اسود اللون (٥١) ، وكذلك حميضة ، وكانت والدة الشريف ابي سعد الحسن حبشية (٥٢) ، وربما يكون الداعي الى الزواج بهذا الجنس لتدعيم سلطة الشريف المتولي للامارة .

وحظي شهر رمضان في بلاد الحجاز بالتعظيم والاجلال لما له من أهمية دينية ، ومن العادات المعروفة فيه المسحراتي وهو القائم على ايقاظ الناس وقت السحور ، وفي مكة يقوم المؤذن الزمزمي بهذه المهمة حيث يقف في المنارة الواقعة في الركن الشرقي من المسجد الحرام للدعاء والتذكير واظهار فضل بركة السحور ... وعند إقبال شهر شوال يرتدي الناس الملابس الجديدة والتي اعدت خصيصاً لهذا الحرم المكي على الدعاء للخليفة العباسي ولأمير مكة ولصلاح الدين أثر صلاة المغرب دلالة على ما لهؤلاء الحكام من محبة في نفوس أهل الحجاز ، ومن العادات ايضا ضرب الطبول في اوقات الصلاة إشعاراً بابتداء موسم الحج (٥٣) .

ومن عادة أهل مكة في حالة وجود قحط إخراج مصحف مكتوب بخط زيد بن ثابت الصحابي الجليل ووضعه في القبة في المقام بعد فتح باب الكعبة ثم يجتمع الناس وهم حاسرو الرؤوس داعين الله تعالى ومتضرعين إليه حتى يتداركهم برحمته (٥٤) .

والواقع أن هذه الظاهرة مبالغ فيها لأن الوارد في السنة النبوية وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) في حالة القحط تقام صلاة الاستسقاء ويجتمع الناس لأدائها في اماكن خارج البلد لأجل السعة مع الاستغفار والتوبة والاقلاع عن الذنوب .

ومن تقاليدهم الشائعة أيضاً الاحتفاء بالضيوف وإقامة الولائم كل حسب استطاعته المادية بالاضافة الى عادة استقبال الحجاج واخراج اطفالهم لمساعدتهم في اداء المناسك وارشادهم الى الطرق الصحيحة لأداء الفريضة (٥٥) .

ودرج أهل مكة على اعداد مياه زمزم للشرب في الحرم حيث توضع في دوراق بعد تنظيفها وتوضع حولها كيزات [٥٦] بيضاء تسمى الغراريف [٥٧] .

ووصف ابن بطوطة بعض العادات الحسنة لأهل مكة بأنها من : " الأفعال الجميلة والمكارم التامة والاخلاق الحسنة والايثار الى الضعفاء والمنقطعين وحسن الجوار للغرباء ، ومن مكارمهم انهم متى صنع احدهم وليمة بدأ فيها بإطعام الفقراء المنقطعين المجاورين " ، وذكر أماكن وجود المساكين والمنقطعين فقال : " يكون بالافران حيث يطبخ هناك اهل مكة اخبازهم فاذا طبخ احدهم خبزة واحتمله الى منزله يتبعه المساكين فيعطي لكل واحد منهم ما قسم ولا يردهم خائبين ولو كانت له خبزة واحدة فانه يعطي ثلثها أو نصفها طيب النفس بذلك من غير ضجر " [٥٨] .

ونوه ايضاً الى كثرة استعمال أهل مكة للطيب والحلي والسواك ووصف نساء مكة بأنهن فائقات الحسن بارعات تميزن بالصلاح والعفاف ومشاركتهن الرجال في حبهن للطيب لدرجة استبداله بالقوت والطعام ، كما حرصت النساء على الطواف في ليلة الجمعة فيذهبن الى المسجد الحرام في أحسن لباس فيغلب عند ذلك على الحرم رائحة طيبهن حتى بعد ذهابهن يبقى اثر الطيب عبقا " [٥٩] .

وسجل الرحالة المغاربة والاندلسيون بعض الخرافات والبدع على الرغم من حرصهم على الدقة في كثير من الامور منها ما قاله ابن جبير حول الحجارة الموضوعة عند باب بني شيبة من انها اصنام لقريش كانت تعبدها في جاهليتها وقد كُبت على وجهها تطوءها الاقدام وتسير الناس عليها بالنعال ، ونفى ذلك وأوضح ان الأصنام قد أمر النبي (صلى الله عليه واله وسلم) يوم فتح مكة باحراقها ، وان الحجارة الموجودة على الباب منقولة وشبهها الناس بالاصنام لعظمها [٦٠] ، وأشار اليها التجيبي ولم يناقشها [٦١] .

وذكر ابن رشيد مما قام به آل الشبيبي داخل الكعبة من استحداثهم كوة في الجدار الغربي مقابل الباب يبلغ ارتفاعها نحو ستة اذرع واطلقوا عليها العروة الوثقى واوهموا العامة ان من يلمسها يعتبر مستمسكا بها مع حرصهم على وضع كرسي من خشب الساج يقف عليه الراغب في لمس الكوة بعد دفع شيء من المال اليهم ، وادى الامر الى تزاحم الناس في سبيل ذلك وما كان من التجيبي إلا أن قام بتحذير من تسنى له تحذيره من هذه البدعة وموضحا ان العروة الوثقى التي فرض الاسلام على الناس الالتزام بها هي لا اله الا الله [٦٢] ، ويبدو ان هذه الامور من البدع [٦٣] ، عدم وجودها زمن زيارة ابن جبير ومع أنها كانت

موجودة زمن العبدري بمكة الا انه لم يشر اليها وانما ذكر القائمين على الكعبة لا يسمحون بدخولها إلا بعد دفع شيء من المال عند بابها [٦٤] .

والملاحظ في مثل هذه البدع اقبال الكثير على تصديقها واعتبارها حقيقة مُسلماً بها ، ويبدو أن ضعاف النفوس والراغبين في الثراء على حساب السذج من العامة روجوا لتلك الشائعات رغبة في جلب الناس الى العروة الوثقى .

انتهى امر هذه البدع على يد الصاحب زين الدين المعروف بابن الحناء[٦٥]سنة (٧٠١هـ / ١٣٠١م) عند مشاهدته لما يحدث في البيت الحرام من امور فامر بازالتها وانتهت هذه البدعة على يديه [٦٦] ، ولعل سبب ظهور هذه البدع المفسدة راجع الى ضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مكة واقتصار العلماء على التعليم والحديث دون التعرض لذلك الا من قلة [٦٧] .

كما ظهر من الشائعات زمن وجود ابن رشيد التي لم يشر لها غيره من الرحالة وهي طواف النساء ليلاً وهن حاملات الشموع بأيديهن وسافرات عن وجوههن فعبر عن استنكاره للامر بانه من البدع غير المقبولة [٦٨] .

ومن الشائعات زمن زيارة التجيبي لمكة وجود شجرة فوق جبل ابي قبيس يقصدها الناس على انها الشجرة التي تمت بيعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فنفى التجيبي هذا الزعم قائلا : " انها خفيت على اصحاب النبي (صلى الله عليه واله وسلم) مع معاينتهم لها وقرب العهد بها فكيف يعلمها هؤلاء " [٦٩] ، فضلا عن ان هذه الشجرة بالحديبية وليست بمكة ، وقد أمر بقطعها عمر بن الخطاب خوفاً من افتتان الناس بها [٧٠] .

ومن جملة ما شاع لديهم أيضاً وجود أكوام كبيرة من الحجارة على قبرين عرفا بأنّهما قبرا أبي لهب وامراته ، وقيل قبر أبي رغال [٧١] ، وهذا غير صحيح [٧٢] من التجيبي فقبر أبي رغال بالمغمس [٧٣] ، والمغمس خارج منطقة الحرم ، وابو رغال هذا كان دليلاً لأصحاب الفيل ولم يصلوا الحرم [٧٤] .

أما من عادات أهل المدينة المنورة الحسنة ما ذكره ابن رشيد من قيامهم باستقبال ركب الحجيج مبشرين بالوصول الى حضرة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) مع تقديم التمر لهم ، وضعوا عصيا في أطرافها اوعية صغيرة يضعون فيها شيئاً من التمر يناولونه للجالسين داخل القباب المغطاة بالأقمشة [٧٥] .

ونلاحظ خلال كتابات الرحالة ندرة المعلومات عن الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة ولعل ذلك راجع الى قصر مدة إقامتهم فيها .

أما الشائعات المنتشرة في المدينة فنذكر منها : ما ذكره ابن جبير عن إطالة جلوس الخطيب يوم الجمعة بعد الخطبة الأولى لجمع المال من المصلين ثم يعود عقب ذلك لمواصلة خطبته [٧٦] .

واستعظم ابن جبير الأمر ولعلها احدى وسائل كسب المال بطرق غير مشروعة ، وذكر أيضاً ما قيل ان في المسجد النبوي حجرا مربعا اصفر طوله شبر في شبر شديد اللمعان قيل انه مرآة كسرى وفي اعلاه داخل المحراب مسمار مثبت في جداره فيه علبة صغيرة غير معروفة يقال انها كأس كسرى [٧٧] ، ويلاحظ من قول ابن جبير عدم تمكنه من معرفته وادى هذا الامر فيما بعد الى الاعتقاد انه حجرة (خرزة) فاطمة الزهراء (عليها السلام) وأمر الصاحب زين الدين بقلعها سنة (٧٠١هـ / ١٣٠١م) [٧٨] .

وحفظت لنا كتب الرحلات بعض العادات والشائعات التي سجلها الرحالة أثناء طريقهم الى مكة والمدينة ، فمن ذلك ما ذكره ابن رشيد من عادة الركب المار بتبوك اعداد الجيش بأسلحته ويتقدم الرجّالة والفرسان وخلفهم الركب في حين يقوم بعضهم بتحميل اكوام الحطب على الدواب لقلته بارض تبوك ويقبلون على المدينة بهذه الهيئة زاعمين ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) دخلها بتلك الطريقة [٧٩] ، واشار ابن رشيد الى وجود شجرة بارض تبوك جلس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تحتها فاخضرت [٨٠] .

واورد ابن جبير مزاعم اهل بدر حول جبل يسمى بجبل الطبول يقال انهم يسمعون صوت الطبول على مقربة منه [٨١] ، ولم يرد ذكره في كتب المعاجم والمصادر التي أرخت للمدينة ولكن اشار السمهودي بهذا الصدد قائلا : " شهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بدراً بسيفه الذي يدعى العضب وضربت فيها طبلخانة النصر فهي تضرب إلى قيام الساعة " [٨٢] .

وتبين ان الاصوات المسموعة ليست قرع طبول وربما هي اصوات بفعل حركة الرياح عند ملامستها للأتربة والصخور ولاسيما ان الذاكرين لخبر جبل الطبول من الرحالة اختلفوا في تحديده مع ملاحظة عدم سماعهم لذلك بل يوردون الرواية بصيغة اشاعة على سبيل المثال ابن بطوطة ذكر ضرب الطبول يوم الجمعة وابن جبير حددها يومي الاثنين والخميس (٨٣) .

رابعا : الاحتفالات :

اعتاد امراء مكة على الاحتفال ببداية الشهور الهجرية وذلك بالذهاب الى الحرم المكي مع طلوع شمس أول كل شهر ، اما العامة فيقومون بتهنئة بعضهم بعضا مع دعاء كل منهم للآخر (٨٤) .

حرص أهل مكة على الاحتفال بشهر رجب وهو لديهم بمثابة موسم كبير يجري الاستعداد له قبل قدومه بمدة من الزمن بالاضافة الى اهتمامهم باداء العمرة الرجبية (٨٥) ، وفي اول ليلة من الشهر تشعل النيران على جانبي الطريق كله ، فضلاً عن الشموع التي تتقدم الابل وعند عودتهم الى المسجد الحرام تكون الصفا والمروة كلها مسرجة وموقدة والازدحام فيها شديد وعند ثبوت دخول رجب تضرب الطبول وتنفخ الابواق اشارة الى انها ليلة الموسم ، ويشارك الأمير الاحتفال بهذا الشهر ويخرج مع حاشيته لاداء العمرة وطريقته في الطواف كعادته في اول كل شهر وبعد انتهاء الطواف يصلي خلف المقام عقب اخراجه من الكعبة خوفاً عليه من مثل هذه المناسبات ويوضع في قبته الخشبية وعند فراغه من الصلاة ترفع القبة فيستلم المقام ويتمسح به (٨٦) .

والملاحظ ان الاحتفال بهذا الشهر لم يكن قاصراً على الرجال فقط بل شاركت النساء ايضا في الاحتفال فيتصافح الرجال ويدعو كل منهم الاخر وكذلك النساء .

وفي ليلة الخامس عشر من شهر رجب يخرج الامير ايضا على هيأته في اول ليلة للعمرة وكذلك العامة في ليلة التاسع والعشرين يخرجون على هيئاتهم السابقة ويحرمون من الاكمة التي امام المسجد والاصل في هذه العمرة عندهم ، وقال ابن جبير ان عبد الله بن الزبير لما فرغ من بناء الكعبة خرج ماشياً حافياً معتمرا فانتهى الى تلك الأكمة فأحرم منها وكان ذلك في اليوم السابع والعشرين من رجب وجعل طريقه على ثنية كداء المؤدية الى المعلى التي كان دخول المسلمين منها يوم فتح مكة ، فبقيت تلك العمرة

سنّة عندهم من ذلك اليوم [٨٧] ، وهم لا يقتصرون على الاحتفال بالعمرة فقط بل تعداه الى تنعمهم في المطعم ويستمر ذلك أياماً يتهادون فيما بينهم على قدر استطاعتهم شكرا لله تعالى [٨٨] .

وللنساء احتفال خاص بهن في يوم التاسع والعشرين من رجب فيفرد البيت لهن فيجتمعون من كل صوب مستعدات لهذا اليوم فلا تبقى امرأة في مكة الا حضرت المسجد الحرام في ذلك اليوم فيفتح الشيبيون الباب لهن ويسرعون بالخروج ويترك الناس الطواف والحجر لهن فيخلوا المطاف من الرجال فتبادر النساء الصعود الى الكعبة ويتسلسل بعضهن ببعض متشابكات حتى يكاد يقع بعضهن على بعض وهن خلال ذلك صائحات مكبرات مهللات وينقضي الوقت المخصص لهن الى قرب الظهر مع اكثارهن من تقبيل الحجر واستلام الاركان فهذا اليوم يمثل اكبر أعيادهن لذا يكثرن من الاستعداد والتأهب له [٨٩] .

ومن العادات الدينية الاخرى الاحتفال بليلة النصف من شعبان حيث يبادرون الى اعمال البر من عمرة وطواف افرادا او جماعات ، وشاهدهم ابن جبير قائلا : " يصلون جماعات جماعات تراويح يقرأون فيها بفاتحة الكتاب وبـ (قل هو الله احد) عشر مرات في كل ركعة الى ان يكملوا خمسين تسليمه بمائة ركعة ، وكل جماعة يتقدمها إمام ، وفي هذه الليلة تبسط الحصر ، وتوقد المشاعل وتضاء المصابيح " ، وذكر طائفة اخرى أثرت الصلاة على انفراد واخرى الأعتمار ، وثالثة اكتفت بالطواف وهم من المالكية [٩٠] .

أشار ابن جبير الى شهر رمضان واحتفالاته الخاصة وبين الخلاف في ليلة حلوله بين أهل السنة والشيعة وعند التأكد من حلوله تعطي الإشارة ببدء الصوم [٩١] ، وأول شيء يتم في المسجد الحرام في رمضان تجديد الحصر والإكثار من الشمع والمشاعل وغيرها من أدوات الإضاءة ، ويتفرق الائمة لإقامة التراويح في أنحاء المسجد ، كل امام بفرقته في ناحية منه والمالكية في جلب الكثير من الشمع لإمامهم فتكون اماكنهم تروق حسنا وترتمي الأبصار نوراً ، أما الغرباء فيفضلون الطواف والصلاة في الحجر على اداء التراويح ، وكان إمام الشافعية اكثر الائمة اجتهادا في العبادة وبعد إتمام عشر ركعات من التراويح يتجه بجماعته الى الطواف فاذا فرغ عاد للصلاة ويكون الاعلان عن بدء الصلاة بضربة من الفرقعة الخطيبية [٩٢] .

أما عن احتفالهم بليلة الأول من شوال تتوقد المشاعل وتضاء الثريات والشموع في انحاء الحرم وكذلك سطح المسجد وفي اعلى جبل ابي قبيس ، ويقف المؤذن طوال الليل فوق سطح قبة زمزم للتهليل والتكبير ، وفي

صباح أول يوم من شهر شوال يحرص الجميع على أداء صلاة العيد ويفتح باب الكعبة ويجلس زعيم آل الشيبي على عتبتها وسائر الشيبيين داخلها ويقومون باستقبال الأمير مكثر عند باب النبي (صلى الله عليه واله وسلم) فيأخذ طريقه الى الطواف ، في حين يقف المؤذن الزمزمي فوق سطح قبة زمزم كعادته رافعاً صوته بالثناء والدعاء للأمير متناوباً مع أخيه ، فاذا أكمل الأمير طوافه اتجه الى مصطبة قبة زمزم المقابلة للركن الأسود ليجلس وابناؤه عن يمينه في حين يقف وزيره وحاشيته عن يساره ويعود الشيبيون الى مكانهم ويقوم الشعراء المرافقين للأمير بالإنشاد لحين وقت الصلاة ، فيقبل القاضي الخطيب متهادياً بين رايتين ذات لون أسود والفرقعة أمامه ثم يقيم الصلاة ، وعقب الانتهاء منها ياخذ طريقه الى المنبر الموضوع الى جدار الكعبة فيلقي خطبة العيد ويبدؤها بالتكبير ، فاذا كبّر كبّر المؤذنون معه الى نهاية خطبته ، وعقب انتهاءها يسارع الناس الى تهنئة بعضهم بعضا ثم يتوجهون الى المقبرة داعين للأموات بالرحمة والمغفرة [٩٣] .

وفي صلاة الجمعة يوضع منبر الخطيب بجوار الكعبة مقابل المقام بين الركن الأسود والعراقي ثم يقبل الخطيب من باب النبي مقابل المقام في البلاط الممتد من الشرق الى الشمال ، حتى يصعد منبره قائلاً : " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فيبادر الناس بالرد عليه ثم يجلس فيبدأ الآذان لصلاة الجمعة ويلقي الخطيب خطبة الجمعة المشتملة على الوعظ والارشاد ، وعند جلوسه بين الخطبتين يضرب بعقب السيف اعلانا ببدء الخطبة الثانية التى يكثر فيها من الصلاة على محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وعلى آله واصحابه والدعاء للخلفاء الراشدين باسمائهم والدعاء لعمي الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) حمزة والعباس ، وللحسن والحسين (عليهما السلام) ، ثم لأمهات المؤمنين زوجات النبي ، ثم لفاطمة الزهراء (عليها السلام) والسيدة خديجة ، والدعاء للحاكم العباسي الناصر ، ثم لامير مكة مكثر بن عيسى ، وبعدها لصلاح الدين الايوبي ولولي عهده اخيه ابي بكر ايوب ... فاذا فرغ من الصلاة اتجه الى خارج الحرم ثم يعاد المنبر الى موضعه بإزاء المقام " [٩٤] .

وحرص خدم الحرم الشريف على تقديم ماء زمزم مبرداً في أواني فخارية تسمى الدوراق لكل دورق مقبض واحد [٩٥] .

اعتاد السدنة في المسجد على فتح باب الكعبة كلّ يوم اثنين وجمعة الا في رجب فبابها مفتوح يوميا ويفتح من بداية شروق الشمس ويوضع منبر له درج للراغبين في دخول الكعبة له تسع درجات مستطيلة منصوبة على قوائم خشبية ذات أربع عجلات ليسهل جرّه ويوضع بإزاء باب الكعبة فيصعد زعيم آل الشيبيي اليها وهو شيخ كبير السن جميل الشكل والملابس وبيده مفتاح القفل ومعه أحد السدنة في يده ستر أسود ويمسح يديه به أمام باب الكعبة فاذا فتح القفل قبل الكعبة ثم يدخل زعيم آل الشيبيي وحده ويقفل خلفه لأداء ركعتين ثم يدخل باقي الشيبيين بعده للصلاة ويفتح الباب بعدها ويبدر الناس بالدخول وفي اثناء فتح باب الكعبة يقف الناس امام بابها داعين الله ومستغفرين وقائلين (اللهم افتح لنا ابواب رحمتك ومغفرتك يا ارحم الراحمين) [٩٦] .

فضلاً عن ذلك أبعدوا الطائفات من النساء في آخر الحجارة المفروشة حول البيت ، فالحرم الشريف مفروش برمل أبيض [٩٧] ، وبدأت تلك العادة منذ تولي خالد بن عبد الله القسري [٩٨] ، إذ كان الرجال والنساء سابقاً يطوفون مختلطين فعمل على منع ذلك [٩٩] .

وقد اعتادوا حفظ المقام الشريف داخل الكعبة وعند اخراجه في الأيام العادية توضع عليه قبة من خشب ، اما في الموسم فتوضع عليه قبة حديد صوناً من أيدي الحجاج [١٠٠] .

ولاحظ التجيبي عند قدومه مكة عدم تغير احتفالات أهل مكة كثيراً عمّا وصفه ابن جبير في رحلته بالرغم من مرور اكثر من قرن على رحلته من حيث ما يقام في شهر رمضان من التانق في اضاءة الحرم بالشمع والقناديل والمشاعل ومن ختم القرآن الكريم في ليالي الوتر من العشر الأواخر منه [١٠١] .

وبالغ التجيبي من ذكر العنصر المصري بمكة من خلال وصول عدد من القراء المعروفين بحسن الصوت وطيب النغمة يجتمعون في كل ليلة جهة باب بني شيبة من الحرم الشريف لقراءة القرآن الكريم على عادة القرّاء في البلاد المشرقية ، وكان لهؤلاء رئيس يصعد كل ليلة من ليالي رمضان الى سطح المدرسة المنصورية المشرفة على الحرم ويقوم بقراءة جزء من القرآن رافعاً صوته بحيث يسمعه الناس [١٠٢] .

وكان للفرقة الزيدية يوم ختم أيضاً وهذا ما لم يذكره ابن جبير وانما ذكره التجيبي وخطب لهم بعد ختمهم ليلة التاسع والعشرين الخطيب المصري السابق مع الدعاء أيضاً للشريف أبي نمي فقام وزير الشريف بإكرامه (١٠٣) .

أما الاحتفال غسل الكعبة المشرفة وإحرامها ، فقد ذكر ابن جبير احتفال اهل مكة المكرمة في الحرم لإحرام الكعبة المشرفة في يوم السابع والعشرين من ذي القعدة بحيث يرفع ثوبها بنحو قامة ونصف من نواحيها الاربع واما فتح بابها فلا يتم الا عقب الوقفة بعرفة (١٠٤) .

افاض التجيبي في الاشارة الى موضوع الاحتفال بغسل الكعبة المشرفة قائلاً : " في اليوم السابع والعشرين من ذي القعدة يتوافد أهل مكة الى البيت العتيق ، حيث تمتلئ ساحات الحرم بهم ثم يقوم خطيب مكة يصعد المنبر لإلقاء خطبة ذاكرا فيها الكعبة المشرفة ومكة مع إيراد بعض الأبيات الشعرية الحسنة ثم يقوم بالدعاء ، فيحمل الناس الكثير من القماش للكعبة ، ويتقدم زعيم آل الشيبيي الى الكعبة المشرفة ونصب له بجوانبها كرسي خشبي يرتقي عليه ويقطع من كسوة الكعبة نحو قامة ونصف مما يلي الأرض من الجوانب الاربعة ، وهذا يسمى (احرام الكعبة المشرفة) ، ويعين الشيبيون زعيمهم ثم ينزل ويفتح باب الكعبة ويدخل هو وآله وبعض الاعيان ويحمل لهم ماء زمزم فيغسلون البيت الشريف (١٠٥) .

اما المقطوع من ثياب الكعبة المشرفة فتوزع قطعاً على الحجاج ويفعل ذلك ايضا بباقي ثوبها المنزوع عنها في يوم عيد الاضحى المبارك ، ولون ثوبها المعروف الاسود تزين اعلاه كتابة باللون الابيض (١٠٦) .

وفي زمن رحلة ابن جبير كانت الكسوة مرسلة من بغداد وتسلم لزعيم ال الشيبيي ويقومون بوضعها على الكعبة المشرفة ، وتميزت الكسوة بلونها الأخضر اليانع يزين أعلاها رسم أحمر عريض وعقب وضع الكسوة ترفع جوانبها لصيانتها من عبث الاعاجم (١٠٧) .

ويبدو الاختلاف واضحاً بين ما وصفه ابن جبير والتجيبي في كسوة الكعبة واحرامها وربما بدأ الامر الى تقطيع أستارها زمن رحلة التجيبي ، بالإضافة الى غسل الكعبة وترفع أطراف ثوبها الى ثلثها مع

وضع قماش أبيض محيط بها يكون آخر أطرافها ثوبها المرفوع ، وذكر أحد الباحثين ان الكعبة المشرفة يوضع عليها إزار أبيض علامة الإحرام [١٠٨] .

ولعل الارجح ما ذكره ابن جبير ، وبين ابن بطوطة بعض جوانب الحياة الاجتماعية في مكة وانفرد فيها واضاف اليه ما عاينه وشاهده والى ما هو باقٍ على حاله الى جانب العادات التي طرأ عليها التغيير بالمقارنة مع الرحالة الآخرين فمن ذلك ان المقام الكريم ثبت في مكانه ولم يعد محفوظا في الكعبة المشرفة كما في زمن رحلة ابن جبير ويظهر انه اقيم عليه بناء ، واشار ابن بطوطة ان عليه قبة اسفلها فتحة مغلقة بأعمدة حديد تبعد عن المقام قدر ما تصل اصابع الانسان في حالة دخولها الى ذلك الشباك والى الصندوق [١٠٩] .

ويبدو ان حفظ المقام داخل الكعبة حدث عقب سيل أم نهشل حفاظاً عليه[١١٠] ، واستمروا في وضعه داخل الكعبة المشرفة لعدم وجود مكان حصين يحفظ فيه ، ولكن بعد بناء مكان له اصبح موضعه ثابتا ، وبقي طواف النساء كما هو ايام ابن جبير في اخر الحجارة المفروشة حول الكعبة [١١١] .

واستمرت احتفالات اهل مكة في يوم الجمعة وخروج الخطيب والمؤذنين ، ولم تتغير عاداتهم سواء في استهلال الشهور العربية وخروج الأمير الى المسجد الحرام وطوافه ودعاء المؤذن الزمزمي له وتهنئته بدخول الشهر وطرق احتفالهم بشهر رجب والعمرة وغيرها من العبادات واحتفالهم أيضاً في شهر شعبان من ايقاد المصابيح والمشاعل والصلاة والطواف والخروج للاعتمار [١١٢] ، واحتفالات في شهر رمضان من ضرب الطبول عند باب الامير ، وتجديد فرش المسجد والاكثار من الشمع والمشاعل ، واستمرار عادة ختم القران الكريم في الوتر من العشر الاواخر لشهر رمضان ، كما كانت عليه في عهد ابن جبير [١١٣] ، واستمروا في الاحتفال ببداية شهر شوال وتزين الحرم المكي بالمصابيح والشموع الموقدة في جميع انحاء الحرم وسطحه وسطح المسجد الموجود بأعلى جبل ابي قبيس [١١٤] .

وظّل الاحتفال بإحرام الكعبة المشرفة في زمن ابن بطوطة كما كانت في زمن ابن جبير ولم يقم سدنة البيت بتقطيع ثوبها القديم وتوزيعه على الحجاج كما حصل زمن التجيبي ، مع استمرار عدم فتح بابها إلا عقب وقفة عرفات ، واستمر الاحتفال بشهر ذي الحجة زمن رحلة ابن بطوطة من حيث ضرب الطبول

في اوقات الصلاة الى يوم الصعود الى عرفات ، ويقوم الخطيب يوم السابع من ذي الحجة إثر صلاة الظهر بالقاء خطبة في الناس ترشدهم الى الطرق الصحيحة في اداء الفريضة [١١٥] .

وفي زمن التجيبي أشار الى عدم وجود عادة ضرب الطبل في ذي الحجة [١١٦] ، وهناك احتمال بعودتها زمن وجود ابن بطوطة في مكة أو أنه عائد لنقله عن ابن جبير في رحلته .

ترتدي الكعبة المشرفة حلتها الجديدة في ثالث ايام عيد الاضحى وتميزت بلونها الاسود وقماشها من الحرير مبطنة بالكتان في اعلاها طراز مكتوب فيه بالبياض وترفع اطرافها حفاظا لها من عبث الحجاج ، ويتم فتح باب الكعبة كل يوم بعد النزول للعراقيين والخراسانيين لتأخر سفرهم عقب سفر الركبين الشامي والمصري بأربعة أيام [١١٧] .

ونوه البلوي الى طواف النساء بعيداً عن الاختلاط بالرجال [١١٨] ، وصور ابن جبير الأرض المحيطة بالكعبة بأنها مفروشة بحجارة تشبه الرخام [١١٩] ، وفي وقت وجود ابن بطوطة أنها حجارة سوداء تصبح شديدة الحرارة بفعل أشعة الشمس فعملوا على رشها بالماء من حين لآخر لإكسابها نوعاً من البرودة [١٢٠] .

خامسا : المواكب :

كان دخول الشريف الى الحرم عند بداية كل شهر هجري ، حيث يتقدم القراء أمامه لقراءة القرآن الكريم ويحرص على الدخول من الباب المسمى باب النبي محاطا بحاشيته المؤلفة من القواد والحرابة ويتجه الى المطاف يتقدمه الخدم والاتباع وبايديهم الحراب ويقوم الخدم بفرش سجادة من الكتان يصلي عليها ثم يشرع في الطواف ، وعند اكماله لشوط يرتفع صوت أخي المؤذن الزمزمي داعياً للأمير بقوله : " صبح مولانا بسعادة دائمة ونعمة شاملة " ، مع تهنئة الشريف أو الأمير بكلام جميل ومدحه بابيات من الشعر ، فاذا أطل الأمير من الركب اليماني يرفع صوته بالدعاء كما سبق مع أبيات من الشعر مختلفة عن سابقتها أيضاً في مدح الأمير وعائلته ويستمر في ذلك حتى نهاية الأشواط السبعة ، وعقب انتهاء الطواف يؤدي الأمير ركعتي الطواف عند الملتزم ثم ينصرف [١٢١] .

وكان موكب الأمير خلال الأحتفال بشهر رجب اذا خرج الى الميقات للعمرة بين ابنائه وقواده وامامه الرايات المرتفعة والطبول بين يديه تتبعه حاشيته وعسكره على مراتبهم ويقومون باللعب بين يديه ويخرج اعراب البوادي ممتطين الإبل الجميلة المنظر مسابقين للخيل بها مع رفع أصواتهم بالدعاء والثناء للأمير حتى وصوله الى المسجد الحرام وعقب انتهاء طوافه يقوم وأمامه الحرابة وبعد الفراغ من السعي أستل اتباعه السيوف امامه والتفوا حوله حتى يصل الى منزله القريب من المسعى [١٢٢] .

أما موكب العامة فهو مختلف في طريقته عن موكب الأمير عند احتفالهم بالعمرة الرجبية فيكون خروجهم أول الشهر بقبائلهم وحارة حارة متقلدين لأسلحتهم بترتيب معّين ، فالفرسان بخيولهم في البداية مع الرقص بالأسلحة ، ثم الرجالة يتبادرون بأسلحتهم والحراب بأيديهم مرتدين تروسهم ومتقلدين بسيوفهم ويأخذون في مبارزة بعضهم بعضا ثم رمي الحراب في الهواء والعودة للامساك بها بإتقان شديد [١٢٣] .

ووصف لنا الرحالة طريقة موكب خطيب المسجد الحرام لصلاة الجمعة ، اذ يأخذ الخطيب طريقه الى المسجد من باب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تحيط به رايتان ذاتا لون أسود يمسك بهما رجلان من المؤذنين وبين يديه يسير اخر حاملا لعصا مخروطة الشكل حمراء اللون في طرفها جلد مفتول رقيق يضربها في الهواء فيسمع صوتها وهي اعلان عن وصول الخطيب وتسمى الفرقعة ، وعند اقترابه من المنبر يبدأ بتقبيل الحجر الاسود ثم يصعد الى منبره وأمامه رئيس المؤذنين بالحرم ، وعند صعود الخطيب لأول درجات المنبر يقلده المؤذن السيف فيضرب درجات المنبر به حتى يقف في اعلاه داعياً مستقبلاً الكعبة المشرفة وعند انتهائه من اداء صلاة الجمعة يأخذ طريقه خارج الحرم تحيط به الرايتان ذات اللون الأسود والفرقعة تضرب أمامه ايذاناً بأنصرافه [١٢٤] ، أما التجيبي فقد أشار الى عدم وجود الفرقعة هذه ولم يرها وقت عيد الفطر [١٢٥] .

سادسا : الملابس :

حرص أهل مكة على لبس الملابس النظيفة الحسنة ، فاذا نظرنا الى أمير مكة نجده يلبس ثوباً أبيض وعمامه صوف بيضاء رقيقة متقلداً لسيفه ويلبس القاضي الخطيب في صباح يوم العيد ثياباً سوداء [١٢٦] .

وفي صلاة الجمعة يرتدي الملابس المزينة بخيط الذهب وعلى رأسه عمامه سوداء مزينة ايضا وعليه طيلسان شرب رقيق وهي كسوة مرسلة من قبل الخليفة ، ويلبس رئيس المؤذنين ملابس سوداء ويحمل على عاتقه سيفه ، وساد اللون الابيض ثياب اهل مكة ، وقيام الأمير بإلباس المحتسب عمامة تكون له جوارا فلا يجرء احد على التعرض له ولكنها تصبح عديمة النفع عند رحيل صاحبها عن مكة [١٢٧] .

سابعا : الاطعمة والاشربة :

تميزت بلاد الحجاز باوضاع اشتهرت بها واختصت بأطعمة معينة تصنع لذلك مثل اعداد أطعمة معينة اثناء الحج يحملونها معهم الى عرفات [١٢٨] ، ولا ننسى الاشارة الى وضع أهل مكة في الأكل ، واقتصارهم على وجبة واحدة في اليوم عقب صلاة العصر مع تناول التمر في سائر النهار ، وانعكس هذا الطبع على صحة أجسامهم وخلوها من الامراض [١٢٩] .

أما الحلويات فهناك نوع صنع من العسل والسكر المعقود مع اضافة الفواكه الطازجة والمجففة اليه وقد اتقن أهل مكة صنع هذا النوع [١٣٠] .

ومن خلال استعراضنا لهذا المبحث يتبين لنا ان الرحالة المغاربة والأندلسيين لم يتطرقوا لذكر الاحتفالات الاجتماعية التي احتفل بها أهل مكة ولاسيما اهل الحجاز بصفة عامة مثل احتفالات الزواج والختان وغيرها ، كما لم ينوهوا الى أنواع الملابس والحلي التي كانت منتشرة بين المجتمع في تلك الفترة وهذا بطبيعة الحال عائد الى انهم كانوا حجاجا وطلبة علم أكثر من أي شيء آخر .

المبحث الثاني : الجوانب الاقتصادية :

من خلال كتب الرحالة المغاربة والاندلسيين ظهرت لنا حالة الحجاز الاقتصادية في إشارتهم للزراعة والصناعة والتجارة ، وفيها يمكننا معرفة مدى الازدهار والركود الذي ساد في تلك الفترة .

أن الناحية الاقتصادية لم تحظ باهتمام المؤرخين بل إن كتاباتهم اهتمت بإظهار الجانب السياسي أكثر من النواحي الأخرى ، وتطلب دراستها الكثير من الجهد لندرة المادة العلمية في هذا المجال ولذا سيكون اظهارها قاصراً على ما ورد في كتب الرحالة الى جانب ما أورده بعض المؤرخين في هذا المجال .

اولا : الزراعة ومصادر المياه :

اعتمدت الزراعة في بلاد الحجاز على المياه ، ومن ناحية توفرها نجد في القُرين [١٣١] بئر مياه عذبة ، وفي مكة هناك سقاية للماء وفي بطن مر وخليص وبدر والصفراء [١٣٢] ، وقباء [١٣٣] مياه آبار عذبة ، وترتب على وفرة المياه قيام بعض المشروعات البسيطة مثل انشاء السقاية في مكانة لاستغلال المياه سواء للشرب او الاستفادة بها في المجالات الزراعية وبالتالي اتسعت الرقعة الزراعية في مختلف مدن بلاد الحجاز ، وإذا تتبعنا البساتين والأراضي الزراعية من خلال كتب الرحالة فاننا نجد أنها تنتشر في مكة على جانبي طريق الزاهر والتي تعود ملكيتها لأحد أهل مكة ، وفي منطقة المسفلة إذ زرعت أشجار النخيل والرمان والعناب والحناء [١٣٤] .

ووجدت الأراضي الزراعية في الأراضي القريبة من مكة وما حولها من القرى والأودية مثل وادي نخلة [١٣٥] ، وبطن مر [١٣٦] ، وآدم [١٣٧] ، وعين سليمان والتي تنسب لسليمان بن علي بن عبد الله بن موسى ثم اشتراها الشريف الحسن بن ثابت وهي قريبة من جدة [١٣٨] .

واشتهرت الطائف بخصوبة تربتها الزراعية فعمت الزراعة فيها وما حولها من القرى [١٣٩] ، وتحدث الرحالة عن مناطق زراعية في الطرق التي سلكوها اثناء رحلتهم في ينبع [١٤٠] ، وبدر وقباء [١٤١] والصفراء والدهناء [١٤٢] ، وتبوك [١٤٣] .

وتميزت بلاد الحجاز بوجود بعض الغلات الزراعية مثل التمر والرمان والعناب والحناء والتين والسفرجل والخوخ والجوز والبطيخ والكرنب والباذنجان [١٤٤] .

وأوعز ابن جبير الى أسباب ازدهار الزراعة في الأودية المحيطة بمكة وجود جالية مغربية بها قامت باستصلاح الأراضي قائلاً : " قد جلب الله اليها من المغاربة ذوي البصارة بالفلاحة والزراعة فأحدثوا فيها بساتين ومزارع فكانوا أحد الأسباب في خصب هذه الجهات " [١٤٥] .

كما وجد العسل المعروف عند اهل مكة بالمسعودي ، والرياحين العبقة [١٤٦] .

ثانيا : الثروة الحيوانية :

تمتعت بلاد الحجاز بوجود ثروة حيوانية ومنها الجمال وتستخدم في نقل الأشخاص والأمتعة [١٤٧] ، والماعز والضأن والبقر ، وتبع ذلك كثرة المنتوجات الحيوانية وتنوعها مثل اللحوم وجودتها وهذا دلالة على وجود المراعي التي اسهمت في تنمية الثروة الحيوانية [١٤٨] .

وتميزت مدينة جدة بكثرة الثروة السمكية إذ انها مدينة ذات موقع بحري متميز أسهم في جعل أهلها يشتغلون بهذه الحرفة [١٤٩] .

إذ الحقيقة ليس لدينا معلومات عن أنواعه ولا الطريقة المتبعة في الصيد ولا أدواته .

كما عمل أهل الجزيرة والتي تقع مقابل حوراء [١٥٠] ويسكنها عرب يصيدون السمك الذي كان تؤم غذائهم فضلاً عن بيعهم السمك للركب وقت حضوره [١٥١] .

ثالثا : الصناعة :

لنجاح الصناعة في أي مكان لابد من توفر مقوماتها المتمثلة في المواد الخام والأيدي العاملة والاستقرار السياسي ، ويوجد في بلاد الحجاز بعض المواد الخام المجلوبة اليها مثل الجواهر والياقوت وغيرها من الأحجار الكريمة ، بالإضافة الى صناعة الحلوى والتي تصنع من العسل والسكر المعقود على صفات شتى [١٥٢] .

وفي ضوء ما توفر من مواد في مكة هذا يعني وجود صناعة رائجة وهي صناعة الحلي والمجوهرات ، إذ إن تطعيم القطع والمصوغات الذهبية يتطلب وجود الياقوت والجواهر وغيرها المستخدمة في هذا المجال .

اشارت بعض المصادر الى وجود مصنوعات من الفضة استخدمت في تزيين المسجد الحرام حيث تجلب هذه المادة الى البلاد وتوفر الفضة والذهب في مكة ورخص أسعارها [١٥٣] .

رابعا : التجارة :

كانت التجارة تمثل العصب الرئيسي لبلاد الحجاز لإقبال الكثير على العمل في مجالها ، ويتضح ان طبيعة البلاد دفعت السكان اليها ونجد ذلك واضحاً في القرآن الكريم في دعوة النبي ابراهيم الخليل "ع" لأهلها ((ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ)) [١٥٤] .

وفي قوله تعالى ايضا : ((ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ)) [١٥٥] .

وأشارت الآية الاولى الى المكان وما خصه الله تعالى به من مميزات دينية واتجاه القلوب اليه ثم الناحية الاقتصادية المتمثلة فيما ساقه الله لهم من رزق ليكونوا شاكرين لنعمه ومحافظين عليها ، اما الثانية فأكدت على قدسية المكان والى الأرزاق والخيرات المحمولة اليه من كل مكان .

وكما يتهيأ سكن للتجار والحجاج اذ وجدت الفنادق بكثرة في مدينة جدة ، ومن المراكز والمحطات التجارية في جدة وهي ميناء بحري ومكة المكرمة[١٥٦]، وينبع وتبوك والحوراء والدهناء والبرابر وغيرها [١٥٧] .

أما أهم الواردات التجارية الداخلة والخارجة فكانت كما يأتي :

تقوم مدينة جدة بتصدير السمك الى مكة المكرمة [١٥٨] ، وتحمل اليها الخضار والفواكه من الاودية القريبة مثل وادي نخلة وبطن مر [١٥٩] ومن الطائف وادم [١٦٠] .

وتحمل بلاد الحجاز اليها من الهند المسك ، والكافور ، والرز ، والعود ، والعقاقير الهندية ، ومن اليمن الزبيب الأسود ، والأحمر ، واللوز ، وقصب السكر ، والعسل [١٦١] .

وكانت قبائل السرو [١٦٢] ، تجلب الحنطة واللوبيا والسمن وغيرها ، وكان لهؤلاء دور اقتصادي مهم مع أهالي مكة بما كانوا يحملونه بما كانوا يحملونه من ارزاق حتى ان أهل مكة شبهوا مقدمتهم بمقدم المطر لكثرة الخير الذي عليها بوجودهم ، ومن الجهات التي تحمل السلع منها الى مكة ايضا بلاد العراق وخراسان والحبشة والمغرب [١٦٣] .

ويبدو ان صادرات مكة لأهل اليمن تمثلت في الأمتعة والملابس والملاحف والفرش وهي اشياء لا يحملها التجار من اهل مكة اليهم بل نجدها تتم بواسطة المقايضة مع هؤلاء القوم لعدم استعمالهم للنقود في البيع والشراء بل يقومون باستبدال ما حملوه الى مكة من الأطعمة بالأمتعة ، وكانت النقود المستخدمة في البيع والشراء في مكة هي الدنانير والدراهم [١٦٤] .

وتعددت الأسواق التجارية في بلاد الحجاز وتنوعت مبيعاتها وأوقاتها ، ففي مكة يوجد سوق تجاري ما بين الصفا والمروة تباع فيه الاطعمة وسوق للبزازين [١٦٥]، والعطارين عند باب بني شيبة [١٦٦] ، وسوق الدقاقين [١٦٧] في اجياد [١٦٨] ، وللخياطين مكان مخصص لهم [١٦٩] ، بالاضافة الى سوق العبيد والجواري المعروف بسوق النخاسة ، والأسواق التي تقام في موسم الحج ففي عرفه سوق كبير [١٧٠] ، وفي منى سوق يستمر طوال أيام عيد الاضحى وتابع فيه الجواهر والامتعة وغيرها [١٧١] .

وتوجد الأسواق في ينبع وبدر وخليص والحوراء [١٧٢] ، وعرف سكان الحجاز معاملات تجارية مختلفة سواء منها البيع والشراء او الرهن او الاستدانة وربما شمل التعامل بالربا [١٧٣] .

ووردت إشارة عن النقود في بلاد الحجاز عن دار لسكّ النقود بمكة لدى البلوي ، وان الدار المعروفة بمكة بدار أبي بكر الصديق اصبحت داراً للسكّة ، واكتفى بهذا القول دون ذكر نوعية النقود المسكوكة وأحجامها [١٧٤] .

لقد أغفل الرحالة ذكر النقود المستعملة بالحجاز ولم يذكرها إلا ابن جبير ، ونوه الى أنواعها مثل الدينار الذهبي والدرهم الفضي كما بين انها على نوعين الدراهم الكاملية المنسوبة للملك الكامل الذي عرف بدرهم النقرة والدراهم المسعودية المنسوبة للملك المسعود ملك اليمن [١٧٥] .

وسبق ان ضربت دراهم منذ سنة (٥٨١هـ / ١١٨٥م) عندما دخل طغتكين مكة وسكنها باسم اخيه السلطان صلاح الدين الايوبي [١٧٦] .

ويتبّين لنا ان الأحوال الاقتصادية في الحجاز كانت جيدة في جميع المجالات (الزراعي والصناعي والتجاري) بالإضافة الى الاستقرار السياسي في تلك الفترة ، وكان وجود المواد الاولية وازدهار الأسواق بالبضائع والسلع المحلية ومن المناطق المجاورة انعكس إيجاباً عليها .

الخاتمة :

كشفت لنا كتب الرحالة المغاربة والاندلسيين الكثير من الحقائق والمعلومات التاريخية التي عرفت بأصالة المعلومات واوصلت بنا الى النتائج الآتية :

١. تعدد الطبقات في المجتمع الحجازي واختلاف تركيبته السكانية بسبب مركزه الديني عند المسلمين.

٢. ظهور عادات وتقاليد خاصة انفردت بها عن سائر الامصار الاسلامية وذلك يرجع الى اختلاف التركيبة السكانية في الحجاز .

٣. عرفت الحجاز بمهن كثيرة عمل بها أهلها واتقنوها وخاصة في مجال الزراعة والصناعة والتجارة .

٤. كان لوجود جالية مغربية عملت بالزراعة مما نتج عنه رواج هذه المهنة واستصلاح الكثير من الاراضي وخاصة حول مكة المكرمة .

٥. كان لأهل الحجاز معرفة بأساليب المعاملات التجارية من بيع وشراء واستدانة ومقايضة .

الهوامش :

(١) القلقشندي ، ابو العباس احمد بن علي بن احمد (ت – ٨٢١هـ) ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، تح : عبد القادر زكار ، ج٤ ، ص٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ .

(٢) ابن جبير ، ابو الحسن محمد بن احمد بن جبير الكناني (ت – ٦١٤هـ) ، تذكرة بالاخبار عن اتفاقات الاسفار (الرحلة) ، ص١٦٢ .

(٣) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت – ٨٠٨هـ) ، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، ج٢ ، ص٩٩ .

(٤) التجيبي ، القاسم بن يوسف بن محمد بن علي السبتي (ت – ٧٣٠هـ) ، مستفاد الرحلة ، تح : عبد الحفيظ منصور ، ص٣٠٨ .

(٥) قرية على بعد ست او سبع اميال من المدينة وهي ميقات اهلها . ينظر : ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله الرومي (ت – ٦٢٦هـ) ، معجم البلدان ، تج : سعد زغلول ، ج٢ ، ص٢٩٥ .

(٦) العبدري ، ابو عبد الله محمد بن محمد (ت–القرن ٧هـ) ، تح : محمد الفاسي ، الرحلة المغربية ، ص٢٠١ .

(٧) بلدة تقع شمال مدينة ينبع . ينظر: البلاوي، عاتق بن غيث، معجم معالم الحجاز، ج٢ ، ص١٢٩ – ١٣٠ .

(٨) العبدري ، الرحلة المغربية ، ص١٦١ .

(٩) ابن رشيد ، ابو عبد الله محمد بن عمر بن محمد (ت – ٧٢١هـ) ، ملء العيبة ، تح : محمد الحبيب ، ج٥ ، ص٨٧ ؛ النجيبي ، مستفاد الرحلة ، ص٤٦٨ .

(١٠) خالد بن عيسى بن احمد بن ابراهيم (ت – ٧٨٠هـ) ، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ، تقديم وتحقيق : الحسن السائح ، ج١ ، ، ص٢٧٩ .

(١١) ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ، ص٩٩ .

(١٢) التجيبي ، مستفاد الرحلة ، ص٣٠٤ – ٣٠٧ .

(١٣) حرب ، جميل ، الحجاز واليمن في العصر الايوبي ، ص٢٣١ .

(١٤) ابن جبير ، الرحلة ، ص١٠٠ ؛ ابن المجاور ، جمال الدين ابي الفتح يوسف (ت – ٦٩٠هـ) ، تاريخ المستبصر ، راجعه ووضح هوامشه : ممدوح حسن محمد ، ص٧ ؛ ابن فهد ، النجم عمر بن محمد بن محمد (ت – ٨٨٥هـ) ، اتحاف الورى ، تح : فهيم شلتوت ، ج٢ ، ص٥٥٣–٥٥٤ .

(١٥) القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ج٤ ، ص٤٨١ .

(١٦) الرحلة ، ص٧٣ ، ٧٥ ؛ ويلاحظ قلة المعلومات عن هذا الامير . ينظر : عز الدين بن فهد ، عز الدين بن عبد العزيز بن عمر الهاشمي ، غاية المرام ، تح : فهيم شلتوت ، ج١ ، ص٥٣٨ .

(١٧) الرحلة ، ص٨٤ ، ١٠٠ .

[١٨] العبدري ، الرحلة ، ص١٦٣ ، ١٧٧ .

[١٩] ملء العيبة ، ج٥ ، ص٩٦ ، ١٠٠ .

[٢٠] مستفاد الرحلة ، ص٢١٩ .

[٢١] مستفاد الرحلة ، ص٣٠٤ ، ٣٠٨ ، ٤٦٣ .

[٢٢] تحفة النظار في غرائب الامصار ، قدم له وحققه : الشيخ محمد عبد المنعم العريان وراجعه الاستاذ مصطفى القصاص ، ص١٨٤ .

[٢٣] الفاسي ، محمد بن احمد الحسني المكي (ت – ٨٣٢هـ) ، العقد الثمين ، تح : محمد حامد الفقي و فؤاد سيد و محمود الطناحي ، ج٤ ، ص٤١٥ .

[٢٤] التجيبي ، مستفاد الرحلة ، ص٣٠٦ – ٣٠٧ .

[٢٥] عجلان بن رميثة : تولى امارة مكة لعدة مرات ، توفي سنة (٧٧٧هـ / ١٣٧٥م) . ينظر : ابن تغري بردي ، جمال الدين ابو المحاسن (ت – ٨٧٤هـ)، الدليل الشافي، تح: محمد فهيم شلتوت، ج١ ، ص٤٤٢ .

[٢٦] ثقبة بن رميثة : من اسرة قتادة ، ولّي امارة مكة شريكا لاخيه ثم استقل بها الى ان توفي سنة (٧٦٢هـ / ١٣٦٠م) . ينظر : ابن تغري بردي ، الدليل الشافي ، ج١ ، ص٢٣١ . فيما يتعلق بتولي وعزل كل منهما ينظر : ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي الطبخي (ت – ٧٧٩هـ) ، تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٤٨ ؛ الفاسي ، العقد الثمين ، ج٤ ، ص٥٩ – ٦٠ .

[٢٧] تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٢٤ .

[٢٨] القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٤ ، ص٣٠٤–٣٠٥ .

[٢٩] الرحلة ، ص١٠٠ ؛ تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٦٢–١٦٣ .

[٣٠] التجيبي ، مستفاد الرحلة ، ص٢٢٩ ؛ المالكي ، سليمان ، بلاد الحجاز منذ بداية عهد الاشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد في منتصف القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري ، ص١٠٠ .

[٣١] تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٦٢ .

[٣٢] تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٦٢ .

[٣٣] ابن رشيد ، ملء العيبة ، ج٥ ، ص٩٦ .

[٣٤] ابن جبير ، الرحلة ، ص٧٨ .

[٣٥] تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٧٢ .

[٣٦] الرحلة ، ص٩٩ ؛ ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٤٨ .

[٣٧] الرحلة ، ص٩٨ ؛ حرب ، جميل ، الحجاز واليمن ، ص٢٣٠ .

(٣٨) جمع اغا وهم خدم المسجد الحرام في مكة المكرمة والمسجد النبوي في المدينة المنورة . ينظر : الانصاري ، عبد الرحمن بن عبد الكريم (ت – ١١٢٤هـ) ، تحفة المحبين والاصحاب في معرفة ما للمدنيين من الانساب ، تح : محمد العروس ، ص٥٣ ؛ نصر الله ، توفيق ، الاغوات نسل منقطع النظير ، مجلة اليمامة ، العدد ١٩٢ ، ١٩٩٠م ، ص٤٢–٤٣ .

(٣٩) الرحلة ، ص١٧١–١٧٢ .

(٤٠) السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ، التحفة اللطيفية ، ج١ ، ص٦١–٦٢ .

(٤١) ابن جبير ، الرحلة ، ص٦٨ ؛ التجيبي ، مستفاد الرحلة ، ص٢٤٧ .

(٤٢) الرحلة ، ص٦٨ .

(٤٣) التجيبي ، مستفاد الرحلة ، ص٢٦٤ . وهذه اول اشارة لها ويثبت ان الطوافة عرفت منذ ذلك الوقت وليس كما ذكر انما عرفت بعد القرن الثامن الهجري . ينظر : ملیباري ، محمد بن عبد الله ، المنتقى في اخبار ام القرى ، ص١٨٩ . وتجدر الاشارة الى ان هذا الكتاب منتقى من ثلاث كتب الاول كتاب الفاكهي والثاني للازرقي والثالث للفاسي ، وقد انتقى مادته وجمعه المستشرق الالماني (فردناند وستينفلد) وليس كما ذكر محقق الكتاب من ان نسبته تعود الى ناسخه الذي اعتقد انه الشيخ عبد الستار الدهلوي . للمزيد ينظر: الدهاس، فواز،وقفه عند كتاب المنتقى في اخبار ام القرى، جريدة عكاظ، العدد ٦٩٦٠ سنة ١٩٨٥، ص٢١ .

(٤٤) ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٩ .

(٤٥) ابن جبير ، الرحلة ، ص٩٩ .

(٤٦) أي الاشخاص القائمين على صناعة بعض الاثاث المستخدم في المنازل . ينظر : التجيبي ، مستفاد الرحلة ص٣٥٣ .

(٤٧) ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين احمد بن علي (ت – ٨٥٢هـ) ، الدرر الكامنة ، حققه وقدم له : محمد سيد جاد الحق ، ج٤ ، ص٣٣٦ .

(٤٨) الرحلة ، ص٥٣ .

(٤٩) التجيبي ، مستفاد الرحلة ، ص٢١٩ – ٢٢٠ .

(٥٠) ابن جبير ، الرحلة ، ص٥٣ ؛ ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ص٥ .

(٥١) التجيبي ، مستفاد الرحلة ، ص٣٠٦ – ٣٠٧ .

(٥٢) عز الدين بن فهد ، غاية المرام ، ج٢ ، ص٧٦ ، ٦٣٧ .

(٥٣) الرحلة ، ص٨٠ ، ١٠١–١٠٢ ، ١٢٣ ، ١٣٥ ، ١٤٨ .

(٥٤) الرحلة ، ص٨٠–٨١ ؛ ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٣٨ .

(٥٥) ابن رشيد ، ملء العيبة ، ج٥ ، ص٨٠ ، ١٢٩ .

(٥٦) الكوز : نوع من الاواني ذو عروة وفي حالة عدم وجودها يسمى توابا . ينظر : ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين (ت ٧١١هـ) ، لسان العرب ، ج٥ ، ص٤٠٢ – ٤٠٣ .

(٥٧) ابن جبير ، الرحلة ، ص٦٦ ؛ التجيبي ، مستفاد الرحلة ، ص٢٢٣ – ٤٦٣ ؛ (المعرفة) ما يعرف بها هي على قدر ملء اليد . ينظر : لسان العرب ، ج٢٩ ، ص٢٦٣ .

(٥٨) تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٣٧ .

(٥٩) تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٥١ ؛ ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ص٩ .

(٦٠) الرحلة ، ص٩٠ .

(٦١) مستفاد الرحلة ، ص٢٤٤ .

(٦٢) ملء العيبة ، ج٥ ، ص٢٦٤ ؛ مستفاد الرحلة ، ص٢٦٤–٢٦٥ .

(٦٣) الفاسي ، شفاء الغرام ، ج١ ، ص١٧٥ – ١٧٦ .

(٦٤) الرحلة المغربية ، ص١٧٦ .

(٦٥) احمد بن محمد بن علي بن محمد بن سليم زين العابدين بن الصاحب محي الدين بن الصاحب بهاء الدين ، كان فقيها وافر الحرمة ، توفي في صفر سنة (٧٠٤هـ / ١٣٠٤م) . ينظر : ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج١ ، ص٢٨٣ .

(٦٦) الفاسي ، شفاء الغرام ، ج١ ، ص١٧٥–١٧٦ .

(٦٧) ابن رشيد ، ملء العيبة ، ج٥ ، ص١٣١ ؛ الفاسي ، العقد الثمين ، ج٢ ، ص٦٠ .

(٦٨) ملء العيبة ، ج٥ ، ص٢٦٥ .

(٦٩) مستفاد الرحلة ، ص٣٣٣ .

(٧٠) الازرقي ، ابو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد (ت – ٢٥٠هـ) ، اخبار مكة ، تح : رشدي الصالح ملحس ، ج١ ، ص١٤٢ ؛ مستفاد الرحلة ، ص٢٥١ .

(٧١) دليل الحبشة عند غزوهم للكعبة اهلكه الله تعالى فيمن هلك منهم ودفن بين مكة والطائف ، فمر النبي (صلى الله عليه واله وسلم) بقبره فامر برجمه فصار ذلك سنّة . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٥٣ .

(٧٢) ابن جبير، الرحلة، ص٨٨؛ العبدري، الرحلة المغربية، ص١٦٨–١٦٩؛ التجيبي، مستفاد الرحلة، ص٢٢٤ .

(٧٣) بالضم موقع قرب مكة في طريق الطائف مات فيه ابو رغال. ينظر: الحموي، معجم البلدان،ج٥، ص١٦١.

(٧٤) الازرقي ، اخبار مكة ، ج١ ، ص١٤٢ .

(٧٥) ملء العيبة ، ج٥ ، ص١٦ .

(٧٦) الرحلة ، ص١٧٩–١٨٠ .

(٧٧) الرحلة ، ص١٧٢ .

(٧٨) السمهودي ، نور الدين علي بن احمد (ت – ٩١١هـ) ، وفاء الوفا باخبار دار المصطفى ، تح : محمد محي الدين عبد المجيد ، ج١ ، ص٢٧٣ .

(٧٩) ملء العيبة ، ج٥ ، ص٧ ؛ تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١١٢ .

(٨٠) ملء العيبة ، ج٥ ، ص١٠ .

(٨١) الرحلة ، ص١٦٦ ؛ تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٢٨ .

(٨٢) وفاء الوفا ، ج٤ ، ص١١٤٦ .

(٨٣) الرحلة ، ص١٦٦ ؛ تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٢٨ .

(٨٤) ابن جبير ، الرحلة ، ص٧٤-٧٥ ، ١٠١-١٠٢ .

(٨٥) الازرقي ، اخبار مكة ، ج١ ، ص٢١٠ .

(٨٦) ابن جبير ، الرحالة ، ص١٠٦-١٠٧ .

(٨٧) الازرقي ، اخبار مكة ، ج١ ، ص٢١٠ ؛ الرحلة ، ص١٠٦-١٠٧ .

(٨٨) ابن جبير ، الرحلة ، ص١١٥-١١٦ .

(٨٩) الرحلة ، ص١١٥-١١٦ .

(٩٠) ابن جبير ، الرحلة ، ص١١٩-١٢٠ ، ١٢٢ .

(٩١) الرحلة ، ص١٢٢ ؛ ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٧٨ .

(٩٢) الفاسي ، العقد الثمين ، ج٤ ، ص٢٧٢ .

(٩٣) ابن جبير ، الرحلة ، ص١٢٢ ، ١٣٥؛ ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الامصار، ص١٧٩-١٨٠ .

(٩٤) الرحلة ، ص٧٢،٧٤ ؛ تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٧٣-١٧٤ .

(٩٥) الرحلة ، ص٦٦ ؛ تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٥١-١٥٢ .

(٩٦) الرحلة ، ص٧٠ .

(٩٧) الرحلة ، ص٦٣ .

(٩٨) من بجيلة ، ابو الهيثم امير مكة والعراق واحد خطباء العرب واجودهم ، يماني الاصل ، ولّي مكة سنة (٨٩هـ / ٧٠٧م) في خلافة الوليد بن عبد الملك ثم ولاه هشام العراق سنة (١٠٥هـ / ٧٢٣م) فاقام بالكوفة وتم عزله سنة (١٢٠هـ / ٧٣٧م) وسجن وعذب ومن ثم قتل في ايام الوليد بن يزيد . ينظر : الفاسي ، العقد الثمين ، ج٤ ، ص٢٧٠-٢٨٢ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٢ ، ص٢٩٧ .

(٩٩) الازرقي ، اخبار مكة ، ج٢ ، ص٢٠ ؛ ابن ظهيرة ، جمال الدين محمد جار الله بن محمد نور ابي بكر (ت - ٩٨٦هـ) ، الجامع اللطيف في فضل مكة واهلها وبناء البيت الشريف ، ص٨١ .

(١٠٠) الرحلة ، ص٦٣ ؛ تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٥١ .

(١٠١) مستفاد الرحلة ، ص٤٦٠ .

(١٠٢) مستفاد الرحلة ، ص٤٦٠-٤٦١ .

(١٠٣) مستفاد الرحلة ، ص٤٦٢-٤٦٣ .

(١٠٤) الرحلة ، ص١٤٣ .

(١٠٥) مستفاد الرحلة ، ص٢٥٩ ، ٢٦٥ ؛ الفاسي ، شفاء الغرام ، ج١ ، ص٢٠٢-٢٠٣ .

(١٠٦) التجيبي ، مستفاد الرحلة ، ص٢٥٩ ؛ الفاسي ، شفاء الغرام ، ج١ ، ص٢٠٢ – ٢٠٣ .

(١٠٧) الرحلة ، ص١٥٧-١٥٨ .

(١٠٨) ابراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، ج١ ، ص٤١ .

(١٠٩) تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٣٦ .

(١١٠) الازرقي ، اخبار مكة ، ج٢ ، ص٣٣ .

(١١١) ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٣٧ .

(١١٢) تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٦٠ – ١٦٢ .

(١١٣) تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٦٢-١٦٥ .

(١١٤) تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٦٦-١٦٧ .

(١١٥) تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٦٩ .

(١١٦) مستفاد الرحلة ، ص٢٤٨ .

(١١٧) ابن جبير ، الرحلة ، ص١٥٨ ؛ ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٧١ .

(١١٨) تاج المفرق ، ج١ ، ص٣٠٤ .

(١١٩) الرحلة ، ص٦٣ .

(١٢٠) تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٢٢ ، ١٣٧ .

(١٢١) الرحلة ، ص٧٤-٧٥ ؛ تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٧٤-١٧٥ .

(١٢٢) الرحلة ، ص١٠٦-١٠٧ ؛ تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٧٥ .

(١٢٣) الرحلة ، ص١٠٨-١١٠ ؛ تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٧٥ .

(١٢٤) الرحلة ، ص٧٢-٧٤ .

(١٢٥) مستفاد الرحلة ، ص٤٦٤-٤٦٥ .

(١٢٦) الرحلة ، ص٧٤-٧٥ ، ١٣٥ .

(١٢٧) تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٥١-١٥٢ .

(١٢٨) ابن رشيد ، ملء العيبة ، ج٥ ، ص١٢٩ .

(١٢٩) تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٥١ .

(١٣٠) الرحلة ، ص٩٨ .

(١٣١) تصغير قرن،قرين نجده باليمامة،موضع في ديار طيء.ينظر ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج٤، ص٣٣٧.

(١٣٢) الرحلة ، ص٥٧-٥٨ ، ٨٨-٨٩ ، ٩٣ .

(١٣٣) بئر هناك عرفت به وهي على بعد ميلين يسار القاصد الى مكة . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٠١ .

(١٣٤) الرحلة ، ص٨٨-٨٩ ، ٩٣ .

(١٣٥) وادي في صدر ينبع . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٢٧٨ .

(١٣٦) التجيبي ، مستفاد الرحلة ، ص٢٢٣ .

(١٣٧) من اشهر اودية مكة المكرمة . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص١٢٥ .

(١٣٨) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ص٤١ ؛ ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٣٢ .

(١٣٩) الرحلة ، ص٩٩ .

(١٤٠) العبدري ، الرحلة المغربية ، ص١٦٣ .

(١٤١) الرحلة ، ص١٧٤ ؛ العبدري ، الرحلة المغربية ، ص٢٠٣ .

(١٤٢) منزل بطريق مكة فيها ماء عذب ونخل . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٩٣ ؛ العبدري ، الرحلة المغاربية ، ص١٦٣ .

(١٤٣) ابن رشيد ، ملء العيبة ، ج٥ ، ص٧ .

(١٤٤) الرحلة ، ص٨٨-٨٩ ، ٩٣-٩٦ ؛ ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ص٩ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٤ ، ص٤٥٣-٤٥٤ .

(١٤٥) الرحلة ، ص٦٨ .

(١٤٦) الرحلة ، ص٩٧-٩٨ .

(١٤٧) التجيبي ، مستفاد الرحلة ، ص٢١٩ – ٢٢٠ .

(١٤٨) الرحلة ، ص٩٨-٩٩ .

(١٤٩) الرحلة ، ص٩٩ .

(١٥٠) من اشهر موانئ الحجاز خربت قبل القرن السابع الهجري حيث كانت احدى محطات الحجاج القادمين من مصر ، يقابلها في البحر جبل منقطع يسكنه العرب به ماء عذب وعيشهم على صيد السمك الذي يبيعونه على الركب اذا حضر . ينظر : العبدري ، الرحلة المغربية ، ص١٦٢ ؛ الجزيري ، عبد القادر بن محمد بن ابراهيم (ت – ٩٧٧هـ) ، درر الفرائد ، ج٢ ، ص١٤٠٤ ؛ الجاسر ، حمد ، بلاد ينبع ، ص١٧٨-١٨١ .

(١٥١) العبدري ، الرحلة المغربية ، ص١٦٢ .

(١٥٢) ابن جبير ، الرحلة ، ص٩٦-٩٧ .

(١٥٣) مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الامصار ، تح : اسعد زغلول ، ص١١ ؛ ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٧١-١٧٢ .

(١٥٤) سورة ابراهيم ، اية ٣٧ .

(١٥٥) سورة القصص ، اية ٥٧ .

(١٥٦) الرحلة ، ص٥٣-٥٧-٥٨ ، ٩٦-٩٧ .

(١٥٧) العبدري ، الرحلة المغاربية ، ص١٦٥-١٦٦ ؛ ابن رشيد ، ملء العيبة ، ج٥ ، ص٢٧٧-٢٧٨ ؛ التجيبي ، مستفاد الرحلة ، ص٢٢٣ ؛ تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١١٣ ، ١٢٨-١٢٩ .

(١٥٨) التجيبي ، مستفاد الرحلة ، ص٢١٩-٢٢٠ .

(١٥٩) ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٣٢ .

(١٦٠) الرحلة ، ص١٦١ .

(١٦١) الرحلة ، ص٩٦-٩٨ .

(١٦٢) قبائل من العرب لهم قرى كثيرة تصل الى اكثر من مائتين قرية وهم اهل جبال السراة من قبائل غامد وزهران وغيرها . ينظر : ابن جبير ، الرحلة ، ص١١٠ ؛ ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ص٢٦-٢٧ ؛ الانصاري ، عبد القدوس ، مع ابن جبير في رحلته ، ص١٩٧ .

(١٦٣) الرحلة ، ص٩٦-٩٧ .

(١٦٤) الرحلة ، ص٩٨ ، ١١١ .

(١٦٥) البزاز : بائع الثياب والامتعة . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج٥ ، ص٣١٢ .

(١٦٦) الرحلة ، ص٨٥ ؛ ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ص١٢-١٣ .

(١٦٧) ما اندق من الشيء والدقاق فتات كل شيء دق واهل مكة يطلقون على توابل القدر دقه (البهار) . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٠ ، ص١٠٠-١٠١ .

(١٦٨) موضع في مكة يلي الصفا . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص١٠٣ .

(١٦٩) الرحلة ، ص٦٨ ؛ تحفة النظار في غرائب الامصار ، ص١٣٥ .

(١٧٠) العبدري ، الرحلة المغربية ، ص١٨٥ ؛ حرب ، جميل ، الحجاز واليمن في العصر الايوبي ، ص٢٣١ .

(١٧١) الرحلة ، ص١٥٧ .

(١٧٢) الرحلة المغربية ، ص١٦٢-١٦٣ ، ١٦٥-١٦٦ .

(١٧٣) الفاسي ، العقد الثمين ، ج٣ ، ص١٦١-١٦٣ ، ٤٤٦؛ السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص٢٤٤-٢٤٥ .

(١٧٤) تاج المفرق ، ج١ ، ص٣١٣ .

(١٧٥) الرحلة ، ص٩٨ .

(١٧٦) صبح الاعشى ، ج٤ ، ص٢٨٠ ؛ مورتيل ، ريتشارد ، الاحوال السياسية والاقتصادية في العصر المملوكي ، ص١٩٣-١٩٤ .

قائمة المصادر

القران الكريم

اولاً : المصادر الاولية :

- **الازرقي : ابو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد (ت ٢٥٠هـ / ٨٦٤م) .**

١. اخبار مكة وما جاء فيها من الاثار ، تح : رشدي الصالح ملحس ، دار الاندلس ، ط٣ (بيروت ١٩٧٨) .

- **الانصاري : عبد الرحمن عبد الكريم (ت – ١١٢٤هـ / ١٧١٢م) .**

٢. تحفة المحبين والاصحاب في معرفة ما للمدنيين من الانساب ، تح : محمد العروس ، (تونس – ١٩٧٠) .

- **ابن بطوطة : محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي (ت – ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) .**

٣. تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، قدم له وحققه : الشيخ محمد عبد المنعم العريان ، وراجعه الاستاذ مصطفى القصاص ، ط١ ، دار احياء العلوم ، (بيروت – ١٩٨٧) .

- **التجيبي : القاسم بن يوسف بن محمد بن علي السبتي (ت – ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م) .**

٤. مستفاد الرحلة والاغتراب ، تح : عبد الحفيظ منصور ، دار العربية للكتاب ، (تونس – ١٩٧٥) .

- **ابن تغري بردي : جمال الدين أبو المحاسن يوسف الاتابكي (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٨م) .**

٥. الدليل الشافي على المنهل الصافي ، تح : محمد فهيم شلتوت ، مكتبة الخانجي ، (مصر – د.ت) .

- **ابن جبير : ابو الحسن محمد بن احمد بن جبير الكناني (ت – ٦١٤هـ / ١٢١٧م) .**

٦. تذكرة الاخبار عن اتفاقات الاسفار ، ط١ ، مطبعة السعادة ، (مصر – ١٩٠٨) .

- **الجزيري : عبد القادر محمد بن عبد القادر بن ابراهيم الانصاري (ت – ٩٧٧هـ / ١٥٦٩م).**

٧. درر الفرائد المنظمة في اخبار الحاج وطرق مكة المعظمة ، اعده للنشر : حمد الجاسر ، ط١ ، دار اليمامة ، (دمشق – ١٩٨٣) .

- **ابن حجر العسقلاني : شهاب الدين احمد بن علي (ت – ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) .**

٨. الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ، حققه وقدم له ووضح فهارسه : محمد سيد جاد الحق ، دار الكتب الحديثة ، مطبعة المدني (بلا – د.ت) .

- **ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت – ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) .**

٩. العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، دار الكتب الخديوية ، (بولاق – د.ت) .

- **ابن رشيد الفهري : ابو عبد الله محمد بن عمر بن محمد (ت – ٧٢١هـ / ١٣٢١م) .**

١٠. ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكة وطيبة ، تح : محمد الحبيب ، دار التنوسية للنشر ، (تونس – ١٩٨٢) .

- **السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت – ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م) .**

١١. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، عنى بطبعه ونشره : اسعد طرا بزوني الحسيني ، (بلا – د.ت) .
– **السمهودي : نور الدين علي بن احمد الحسيني (ت – ٩١١هـ / ١٥٠٥م) .**
١٢. وفاء الوفا باخبار دار المصطفى ، تح : محمد محي الدين عبد المجيد ، ط٤ ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت – ١٩٨٤) .
– **ابن ظهيرة : جمال الدين محمد جار الله بن محمد بن ابي بكر (ت – ٩٨٦هـ / ١٥٧٨م) .**
١٣. الجامع اللطيف في فضل مكة واهلها وبناء البيت الشريف ، ط٤ ، المكتبة الشعبية ، (بيروت – ١٩٧٣) .
– **العبدري : ابو عبد الله محمد بن محمد (توفي في القرن ٧هـ / ١٣م) .**
١٤. الرحلة المغربية ، تح : محمد الفاسي ، (الرباط – ١٩٦٨) .
– **عز الدين بن فهد : عز الدين بن عبد العزيز بن عمر الهاشمي (ت – ٩٢٢هـ / ١٥١٦م).**
١٥. غاية المرام باخبار سلطنة البلد الحرام ، تح : فهيم شلتوت ، ط١ ، مركز احياء التراث الاسلامي ، (مكة – ١٩٨٨) .
– **الفاسي : محمد بن احمد الحسني المكي (ت – ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م) .**
١٦. العقد الثمين في تاريخ البلد الامين ، تح : محمد حامد الفقي و فؤاد سيد و محمود الطناحي ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – ١٩٨٦) .
– **ابن فهد : النجم عمر بن محمد بن محمد بن محمد (ت – ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م) .**
١٧. اتحاف الورى باخبار ام القرى ، تح : فهيم شلتوت ، ط١ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة – ١٩٨٣) .
– **القلقشندي : ابو العباس احمد بن علي بن احمد (ت – ٨٢١هـ / ١٤١٨م) .**
١٨. صبح الاعشى في صناعة الانشا ، تح : عبد القادر زكار ، وزارة الثقافة ، (دمشق – ١٩٨١) .
– **ابن المجاور : جمال ابي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد الشيباني (ت – ٦٩٠هـ / ١٢٩١م) .**
١٩. تاريخ المستبصر ، راجعه ووضع هوامشه : ممدوح حسن محمد ، مكتبة الثقافة الدينية ، (القاهرة – ١٩٩٦) .
– **ابن منظور : ابو الفضل جمال الدين (ت – ٧١١هـ / ١٣١١م) .**
٢٠. لسان العرب ، دار صادر ، (بيروت – ١٩٧٧) .
– **مؤلف مجهول : (ت . ق ٦هـ / ١٢م) .**
٢١. الاستبصار في عجائب الامصار ، تح : سعد زغلول ، دار البيضاء ، (القاهرة – ١٩٨٥) .
– **ياقوت الحموي : شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت – ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) .**
٢٢. معجم البلدان ، تح : سعد زغلول ، مطبعة بولاق ، (القاهرة – ١٩٦٢) .

ثانيا : المراجع :

- الانصاري : عبد القدوس

٢٣. مع ابن جبير في رحلته ، ط١ ، المطبعة العربية الحديثة ، (القدس – ١٩٧٦) .

- البلاوي ، عاتق بن غيث

٢٤. معجم معالم الحجاز ، ط١ ، مطبوعات نادي الطائف الادبي ، (بلا – ١٩٧٨) .

- الجاسر : حمد

٢٥. بلاد ينبع لمحات تاريخية جغرافية وانطباعات خاصة ، دار اليمامة ، (بلا – د.ت) .

- حرب : جميل

٢٦. الحجاز واليمن في العصر الايوبي ، ط١ ، (القاهرة – ١٩٨٥) .

- رفعت باشا ، ابراهيم

٢٧. مرآة الحرمين او الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية ، ط١ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، (القاهرة – ١٩٢٥) .

- الزركلي : خير الدين

٢٨. الاعلام ، ط٥ ، دار العلم للملايين ، (بيروت – ٢٠٠٢) .

- المالكي : سليمان عبد الغني

٢٩. بلاد الحجاز منذ بداية عهد الاشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد في منتصف القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري ، دار الملك عبد العزيز ، (الرياض – ١٩٨٣) .

- مورتيل : ريتشارد

٣٠. الاحوال السياسية والاقتصادية في العصر المملوكي ، ط١ ، جامعة الملك سعود ، (الرياض – ١٩٨٥) .

رابعا : الدوريات :

- الدهاس : فواز

٣١. وقفة عند كتاب المنتقى في اخبار ام القرى ، ج١ ، ج٢ ، جريدة عكاظ ، العدد ٦٩٦٠ ، (جدة – ١٩٨٥) .

- نصر الله : توفيق

٣٢. الاغوات نسل منقطع النظير ، مجلة اليمامة ، العدد ١٩٢ ، (الرياض – ١٩٩٠) .

Abstract

Social and Commercial Sides to Al-Hijaz country via the books of Marco and Andalusia travelers through the seven and eight Hegira centuries .

The social and commercial life varied in Al-hijaz countries because of the variation in the society components , customs , conventions , foods and e enumeration of jobs that they were done like agriculture of some plants that they were well-known in Al-Hijaz whereas industry has a basic role because of the existence of the initial material and the working hands which led to flourish it ; while commercial represents the basic fiber to Al-Hijaz because of the coming of a large number of people working in it . so all of this reflected in refreshing it and this can be clarified via the records of Marco and Andalusia travelers in their books which is the subject of the study .